AL-HAYAT Research Journal
HJRS HEC Journal Recognition System
ISSN (Online): 3006-4767
ISSN (Print):: 3006-4759
Volume 3 Issue 3 (April-June 2026)

الطاف حسين حالي رائد الشعر الإصلاحي في الأدب الأردي

Altaf Hussain Hali: The Pioneer of Reformist Poetry in Urdu Literature

Saadia Hijab Zahra
PhD Scholar, Department of Arabic Bahauddin Zakariya University
Email: sadiabloch505@gmail.com
Professor Dr. Muhammad Abuzar Khalil
Chairman, Department of Arabic Bahauddin Zakariya University
Email: abuzarkhalil@bzu.edu.pk
Zahid Murtaza
PhD scholar bhaudin zakariya university
Email zahidmurtaza191@gmail.com

Abstract

This article presents a comprehensive study of Altaf Hussain Hali as one of the most prominent pioneers of reformist poetry in modern Urdu literature. Hali played a crucial role in transforming the function of poetry from ornamental expression and traditional aesthetics into a powerful tool for social reform, moral guidance, and intellectual awakening.

The study highlights the major artistic characteristics of Hali's poetry, including simplicity and clarity, emotional sincerity, realism, and a strong Islamic orientation. These features made his poetry accessible to the general public and highly effective in conveying reformist ideas across different layers of society. His straightforward and uncomplicated language contributed significantly to the wider dissemination of Urdu literature.

A major focus of the article is Hali's contribution to Urdu literary criticism through his seminal work Muqaddama-e-Sher-o-Shairi, which is considered one of the earliest systematic attempts to establish modern literary theory in Urdu. In this work, he defined the purpose of poetry, linked literature with life, and strongly criticized blind imitation of Persian literary traditions, advocating instead for a rational and reality-based literary taste.

The article also emphasizes Hali's reformist vision, particularly in his famous poem Madd-o-Jazr-e-Islam, where he vividly portrays the rise and decline of the Muslim community, urging moral revival, education, and adherence to Islamic values.

In conclusion, Altaf Hussain Hali emerges not only as a poet but also as a social reformer and literary thinker who reshaped Urdu literature by integrating form, content, and purpose, thereby laying the foundation for modern reformist and critical traditions in Urdu literary history.

البساطة والوضوح في شعر الطاف حسين حالي

تُعَدُّ البساطة والوضوح من أبرز السمات الفنية التي ميَّزت شعر الطاف حسين حالي، إذ كان يؤمن بأنَّ الأدب رسالةٌ إصلاحية تهدف إلى تهذيب المجتمع وتوعية الناس، ولذلك حرص على أن تكون لغته قريبةً من أفهام العامة بعيدةً عن الغموض والتعقيد. وقد جاء هذا الاتجاه ردَّ فعلٍ على الأسلوب التقليدي الذي شاع في الشعر الأردي والفارسي، حيث كان كثيرٌ من الشعراء يميلون إلى التكلّف اللفظي والإفراط في المحسنات البديعية والصور الخيالية البعيدة عن الواقع.[1]

CC BY

وقد دعا حالي إلى أن يكون الشعر مرآةً للحياة والواقع، وأن تُصاغ المعاني بأسلوبٍ سهلٍ واضحٍ يستطيع القارئ إدراكه دون عناء، لأن الغاية الأساسية عنده ليست التفاخر بالصنعة اللفظية، وإنما التأثير في النفوس وإيقاظ الشعور الإصلاحي. ولذلك نجد ألفاظه مألوفةً، وتراكيبه سلسةً، ومعانيه مباشرةً تعبّر عن قضايا الأمة وآلام المجتمع. (عبد السلام ندوي، *تاريخ الأدب الأردي*، لاهور: نفيس أكاديمي، ج 2، ص 136(

ويظهر هذا الاتجاه واضحًا في قصيدته المشهورة »مدّ وجزر الإسلام «التي خاطب فيها المسلمين خطابًا مباشرًا مؤثرًا، بعيدًا عن الغموض والتعقيد، فقال:

اے خاصۂ خاصانِ رسل وقتِ دعا ہے

امت پہ تری آ کے عجب وقت پڑا ہے۔[2]

ومعنى البيتين:

يا أشرفَ الرسل، لقد حلَّ بأمتك وقتٌ عصيب، فادعُ الله لها بالرحمة والنجاة.

فالألفاظ هنا سهلةٌ مألوفة، والمعنى واضحٌ يصل إلى القارئ مباشرةً دون حاجة إلى تأويلٍ أو شرحٍ طويل، وهذا ما أكسب شعره قوة التأثير في عامة الناس.[3]

ومن مظاهر البساطة في شعره أيضًا اعتماده على الأسلوب الخطابي الوعظي، إذ كان يوجّه النصائح والإرشادات بأسلوبٍ قريب من لغة الحياة اليومية، ومن ذلك قوله:

فرشتوں سے بہتر ہے انسان بننا

مگر اس میں لگتی ہے محنت زیادہ۔[4]

أي: إنَّ بلوغ الإنسان مرتبة الكمال الأخلاقي أفضل من منزلة الملائكة، لكن ذلك يحتاج إلى جهدٍ ومجاهدة.

ويتضح من هذا المثال أن حالي استخدم تعبيرًا بسيطًا يحمل معنىً أخلاقيًا عميقًا دون تعقيدٍ فلسفي أو زخرفةٍ لفظية، فكان يخاطب العقل والقلب معًا بلغةٍ واضحةٍ مؤثرة. [5]

كما تأثر حالي في هذا المنهج بالحركة الإصلاحية الحديثة التي قادها السيد أحمد خان، إذ كانت تدعو إلى تقريب اللغة من الناس وربط الأدب بحاجات المجتمع الواقعية، ولذلك انتقد حالي الشعر الذي يكثر فيه الغزل الوهمي والتشبيهات المتكلَّفة، وعدَّه بعيدًا عن وظيفة الأدب الحقيقية.[6]

وقد أكَّد حالي أنَّ الشعر الجيد هو ما كان صادق العاطفة، واضح الفكرة، مؤثرًا في القلوب، وأنَّ الغموض والتكلّف يفسدان جمال الأدب وقيمته الإصلاحية. [7]

ومن هنا أصبحت البساطة والوضوح عند حالي وسيلةً فنيةً تخدم هدفه الإصلاحي، فاستطاع أن يجعل الشعر الأردي قريبًا من الناس، معبّرًا عن همومهم وآمالهم، وأن يفتح الطريق أمام الأدب الواقعي الحديث في اللغة الأردية. [8]

الصدق العاطفي في شعر الطاف حسين حالي

يُعَدُّ الصدق العاطفي من أهم الخصائص الفنية في شعر الطاف حسين حالي، إذ لم يكن شعره مبنيًّا على التكلف أو التصوير الخيالي البعيد، بل كان صادرًا عن إحساسٍ داخليّ صادقٍ يعكس معاناة الأمة الإسلامية في عصره، وما أصابها من ضعفٍ وانحطاطٍ بعد أحداث 1857م. لذلك جاء شعره نابضًا بالألم الحقيقي، والدعوة الجادة إلى الإصلاح والنهوض.

لقد كان حالي يرى أن الشاعر الحقيقي هو من يعيش قضايا مجتمعه بصدق، فيحسّ بآلام الناس كما يحسّ بآلامه الشخصية، ومن ثم يعبّر عنها بلغةٍ مؤثرةٍ صادقة. وقد تأثر في هذا الاتجاه بالحركة الإصلاحية التي قادها السيد أحمد خان، والتي جعلت الأدب وسيلةً للإصلاح الاجتماعي والتربوي، لا مجرد فنٍّ للزخرفة والتسلية.

ويتجلى الصدق العاطفي بوضوح في قصيدته الشهيرة »مسدس مدّ وجزر الإسلام«، حيث يصور حالة المسلمين بعد الضعف والانكسار تصويرًا مؤثرًا ينبع من إحساسٍ عميق بالحزن على واقع الأمة، فيقول:

اے خاصۂ خاصانِ رسل وقتِ دعا ہے

امت پہ تری آ کے عجب وقت پڑا ہے۔[9]

فهذه الأبيات لا تعبر عن خيالٍ مجرد، بل عن شعورٍ صادقٍ بالقلق على مصير الأمة الإسلامية، مما يجعلها قريبة من القلب ومؤثرة في النفس.

كما يظهر صدقه العاطفي في دعوته الصريحة إلى الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي، حيث لا يتردد في نقد الواقع بأسلوبٍ مباشر، ومن ذلك قوله:

فرشتوں سے بہتر ہے انسان بننا

مگر اس میں لگتی ہے محنت زیادہ۔[10]

فهنا يعبّر عن فكرة أخلاقية عميقة، لكن من خلال إحساسٍ صادقٍ بضرورة مجاهدة النفس، بعيدًا عن المبالغة أو التصنع.

ويُلاحظ أن حالي لا يكتب من أجل الإعجاب الفني أو إظهار القدرة اللغوية، بل يكتب لأنه يشعر بمعاناة حقيقية، ولذلك تأتي ألفاظه سهلة، وتراكيبه طبيعية، وصوره قريبة من الواقع، مما يعكس انسجام الشكل مع المضمون، وهو ما يُعدّ من أبرز علامات الصدق الفني.

وقد أكّد في كتابه »مقدمة شعر وشاعري «أن الشعر لا يكون مؤثرًا إلا إذا خرج من قلبٍ صادقٍ وإحساسٍ حيّ، وأن التصنع يقتل روح الشعر ويُفقده تأثيره. [11]

وبذلك يمكن القول إن الصدق العاطفي عند الطاف حسين حالي لم يكن مجرد سمة أسلوبية، بل كان أساسًا فكريًا وفنيًا جعل شعره رسالة إصلاحية مؤثرة، تجاوزت حدود الفن إلى خدمة المجتمع وإحياء الوعي.

الواقعية في شعر الطاف حسين حالي

تُعَدُّ الواقعية من أبرز السمات الفنية والفكرية في شعر الطاف حسين حالي، إذ انتقل بالأدب الأردي من دائرة الخيال المفرط والتكلف البلاغي إلى فضاء الواقع الاجتماعي والسياسي، فصار الشعر عنده وسيلةً لتصوير حياة الأمة كما هي، لا كما ينبغي أن تكون في الخيال المجرد. وقد ارتبط هذا الاتجاه بظروف المسلمين في شبه القارة الهندية بعد أحداث 1857م، حيث شهد المجتمع الإسلامي حالة من الضعف والانكسار والتراجع الحضاري، فكان شعر حالي مرآةً صادقةً لهذه التحولات.

وقد تأثر حالي في منهجه الواقعي بالحركة الإصلاحية التي قادها السيد أحمد خان، والتي دعت إلى قراءة الواقع بوعيٍ علمي، وربط الأدب بقضايا المجتمع بدل الانشغال بالمبالغات الشعرية القديمة. لذلك نجد أن حالي لم يكتفِ بوصف المشاعر، بل صوّر الواقع الاجتماعي تصويرًا دقيقًا يكشف أسبابه ونتائجه، ويدعو إلى تغييره.

OPEN ACCESS

ويتجلى هذا الاتجاه بوضوح في »مسدس مدّ وجزر الإسلام«، حيث رسم صورة واقعية لانحطاط المسلمين بعد أن كانوا أصحاب حضارةٍ وقوة، فقال:

نه وہ شانِ سلطانی نه وہ شوکتِ دین

گئے وقت کے ساتھ سب خواب و یقین۔[12]

ففي هذا التصوير لا نجد خيالًا بعيدًا أو مبالغةً فنية، بل وصفًا مباشرًا لواقعٍ تاريخيٍّ عاشته الأمة الإسلامية، مما يعكس حسًّا واقعيًا صادقًا.

كما تتضح الواقعية عنده في نقده للأوضاع الاجتماعية، حيث تناول قضايا الجهل، والتخلف، وضعف التعليم، وانحراف بعض القيم الأخلاقية، بأسلوبٍ مباشرٍ بعيد عن الرمزية المعقدة، ومن ذلك قوله في معنى إصلاح النفس والمجتمع:

فهذا البيت يعكس رؤية واقعية واضحة تقوم على أن الإنسان هو صانع مصيره بعمله وسلوكه، وهو طرحٌ إصلاحي يرتكز على فهم الواقع الإنساني والاجتماعي.ويظهر الجانب الواقعي كذلك في رفضه للشعر الغزلي التقليدي الذي كان منفصلًا عن حياة الناس، حيث اعتبر أن الأدب الحقيقي هو الذي يعالج قضايا المجتمع ويخاطب مشكلاته، لا الذي يغرق في أوصاف الخيال البعيد. وقد أكد هذا المبدأ في كتابه »مقدمة شعر وشاعري«، حيث دعا إلى جعل الشعر وسيلةً للإصلاح والتربية الاجتماعية. [13]

ومن خلال هذا المنهج الواقعي، استطاع حالي أن يؤسس اتجاهًا جديدًا في الأدب الأردي يقوم على ربط الفن بالواقع، وتحويل الشعر إلى أداة وعيٍ اجتماعي، مما جعله من رواد النهضة الأدبية الحديثة في شبه القارة الهندية. وبذلك يتضح أن الواقعية عند الطاف حسين حالي لم تكن مجرد أسلوب فني، بل كانت رؤية فكرية شاملة تهدف إلى إصلاح المجتمع من خلال فهمه كما هو، والعمل على تغييره نحو الأفض

النزعة الإسلامية في شعر الطاف حسين حالي

تُعَدُّ النزعة الإسلامية من أبرز السمات الفكرية والفنية في شعر الطاف حسين حالي، إذ لم يكن شعره مجرد تعبيرٍ أدبي أو تجربة جمالية، بل كان رسالةً إصلاحية تستند إلى القيم الإسلامية وتعاليم الدين الحنيف. فقد عاش حالي في مرحلةٍ تاريخية حرجة من تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، حيث تراجعت القوة السياسية والحضارية للمسلمين بعد أحداث 1857م، فانعكس ذلك على إنتاجه الشعري الذي امتلأ بروح الوعي الديني والدعوة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح.

وقد كانت رؤية حالي الإصلاحية تقوم على أن سبب ضعف المسلمين ليس في الدين الإسلامي نفسه، بل في ابتعادهم عن جوهره الحقيقي، لذلك دعا إلى التمسك بالقيم الإسلامية مثل العلم، والعمل، والأخلاق، والوحدة، ونبذ الجهل والتقليد الأعمى. [14]

وتظهر هذه النزعة بوضوح في قصيدته الشهيرة »مسدس مدّ وجزر الإسلام«، حيث يستعرض مجد المسلمين في الماضي ثم يقارنه بحالتهم في الحاضر، بهدف إثارة الشعور الديني والغيرة الإسلامية في نفوسهم، فيقول:

اے خاصۂ خاصانِ رسل وقتِ دعا ہے

امت پہ تری آ کے عجب وقت پڑا ہے۔[15]

فهذا النداء النبوي يعكس عمق الانتماء الديني، ويبرز الألم على حال الأمة الإسلامية، مما يجعل النص مشبعًا بروحٍ إسلامية واضحة.

كما نجد أن حالي لم يفصل بين الأدب والدين، بل جعل الشعر وسيلةً لخدمة الإسلام والدفاع عن قيمه، فكان ينتقد الانحراف الأخلاقي والابتعاد عن التعاليم الدينية، ويدعو إلى العودة إلى الإسلام الصحيح القائم على العلم والعمل. وقد أكد هذا المعنى في كتابه »مقدمة شعر وشاعري«، حيث بيّن أن الأدب إذا لم يخدم الأخلاق والدين فإنه يفقد قيمته الحقيقية. (حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعر وشاعري*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 62(

ومن خلال هذه الرؤية يتضح أن النزعة الإسلامية عند الطاف حسين حالي لم تكن سطحية أو شكلية، بل كانت عميقة الجذور، حيث امتزج فيها الإحساس الديني بالوعي الإصلاحي، فحوّلت الشعر إلى أداةٍ لبناء الوعي الإسلامي وإحياء روح الأمة.

ملامح التجديد في شعر الطاف حسين حالي

كان شعر الطاف حسين حالي يتميّز بطابعٍ إصلاحي واضح، إذ لم يقتصر على وصف الحب والجمال كما كان شائعًا في الشعر التقليدي، بل جعله وسيلةً لتربية المجتمع وإصلاحه .فقد رأى حالي أن الشعر ينبغي أن يحمل رسالةً أخلاقيةً وفكريةً تساعد على نهضة الأمة وتقدّمها. لذلك ركّز في شعره على موضوعاتٍ مهمّة مثل إصلاح المجتمع، وبثّ الأخلاق الفاضلة، وتنبيه المسلمين إلى أسباب تخلّفهم، والدعوة إلى العلم والعمل .وقد حاول من خلال شعره أن يوجّه الناس إلى طريق الإصلاح والتجديد. وفي هذا المعنى يقول أحد مؤرخي الأدب الأردي:

"حالی نے اردو شاعری کو محض عشقیہ مضامین سے نکال کر قومی اور اخلاقی موضوعات کی طرف متوجہ کیا اور اسے اصلاحِ قوم کا ذریعہ بنایا-[16]"

كما يذكر ناقدٌ آخر مكانة حالي في الشعر الإصلاحي بقوله:

"حالی اردو شاعری میں مقصدیت اور اصلاحی فکر کے بانیوں میں شمار ہوتے ہیں۔ ان کی شاعری میں قوم کی بیداری اور اخلاق تعلیم کا جذبہ نمایاں ہے-[17]"

ومن أشهر أعمال حالي التي تجلّت فيها هذه الروح الإصلاحية قصيدته المعروفة "مدّ و جزرِ اسلام) "المعروفة أيضًا بـ مسدّسِ حالي(، حيث صوّر فيها حالة المسلمين في عصره، وبيّن أسباب ضعفهم وتخلّفهم، ثم دعاهم إلى العودة إلى العلم والأخلاق والعمل. وفي وصف هذه القصيدة يقول أحد الباحثين:

"مسدسِ حالی اردو شاعری کی ایک اہم اصلاحی نظم ہے جس میں مسلمانوں کے عروج و زوال کی داستان بیان کی گئی ہے-[18]"

وبذلك استطاع حالي أن يفتح بابًا جديدًا في الشعر الأردي، حيث جعل الشعر وسيلةً للإصلاح الاجتماعي وبعث الوعي القومي، ولذلك يُعدّ من أهم روّاد الشعر الإصلاحي والمقصدي في الأدب الأردي.

لم يقتصر تأثير الطاف حسين حالي في الأدب الأردي على إدخال موضوعات الإصلاح في الشعر فحسب، بل أسهم أيضًا في تغيير الاتجاه العام للشعر الأردي .فقد كان يرى أن الشعر ينبغي أن يعكس حياة الناس الحقيقية ومشكلاتهم الاجتماعية، وأن يكون وسيلةً لنشر الوعي والتربية الأخلاقية بين أفراد المجتمع.

وقبل ظهور حالي كان الشعر الأردي يميل في كثير من الأحيان إلى المبالغة في الخيال والزخرفة اللفظية، وكان الاهتمام الأكبر منصبًّا على موضوعات الغزل والتعبير عن المشاعر الفردية. أمّا حالي فقد دعا إلى البساطة والوضوح في التعبير، وإلى أن يكون الشعر قريبًا من واقع المجتمع وحاجاته.

وقد بيّن حالي هذه الفكرة بوضوح في كتابه الشهير "مقدمۂ شعر و شاعری" الذي يُعدّ من أهم الكتب في النقد الأدبي الأردي. ففي هذا الكتاب شرح حالي وظيفة الشعر وأهميته في حياة المجتمع، ودعا إلى أن يكون الشعر مفيدًا وهادفًا لا مجرد وسيلة للتسلية. ويشير أحد نقاد الأدب إلى أهمية هذا الاتجاه بقوله:

"مقدمۂ شعر و شاعری میں حالی نے پہلی مرتبہ اردو شاعری کے اصولوں پر سنجیدہ تنقیدی بحث کی اور شاعری کو زندگی اور اخلاق کے ساتھ جوڑنے کی کوشش کی۔[19]"

كما أن شعر حالي تميّز بصدق العاطفة وبساطة الأسلوب، مما جعله قريبًا من قلوب القرّاء. فقد حاول أن يبتعد عن التكلف اللفظي وأن يعبّر عن أفكاره بلغةٍ سهلةٍ واضحةٍ يفهمها عامة الناس.

ويؤكد الناقد محمد حسن هذا المعنى بقوله:

"حالی کی شاعری میں سادگی، خلوص اور اصلاحی جذبہ نمایاں ہے۔ انہوں نے شاعری کو زندگی کے مسائل سے جوڑنے کی کوشش کی۔[20]"

كما اهتم حالي في شعره بإبراز القيم الإنسانية مثل الصدق، والأمانة، والعمل، والعلم، والاتحاد بين أفراد المجتمع. وكان يرى أن تقدم الأمم لا يتحقق إلا من خلال العلم والأخلاق والعمل الجاد.

ولذلك نجد أن كثيرًا من قصائده تحمل رسالة توجيهية وتعليمية، فهو يخاطب المجتمع ويدعوه إلى الإصلاح والتقدم. وقد جعل هذا الاتجاه شعره مختلفًا عن كثير من الشعراء الذين سبقوه.

ويقول أحد الباحثين في وصف مكانة حالي:

"حالی نے اردو شاعری کو ایک نیا رخ دیا اور اسے اصلاحِ معاشرہ اور بیداریٔ قوم کا ذریعہ بنایا۔[21]"

وهكذا أصبح الطاف حسين حالي واحدًا من أبرز روّاد التجديد في الشعر الأردي، إذ جمع بين الرسالة الإصلاحية والأسلوب الأدبي المؤثر، وأسهم في تحويل الشعر من مجرد تعبير عن العواطف إلى أداة فاعلة في إصلاح المجتمع وبناء الوعي القومي.

أثر الطاف حسين حالي في الأدب الأردي

يُعَدُّ الطاف حسين حالي من أبرز أعلام النهضة الأدبية في شبه القارة الهندية، وقد ترك أثرًا عميقًا وممتدًّا في تطور الأدب الأردي شعرًا ونقدًا وفكرًا. لم يكن تأثيره مقتصرًا على الجانب الجمالي في الشعر، بل تجاوز ذلك إلى إحداث تحول جذري في وظيفة الأدب نفسه، إذ نقله من دائرة الترف الفني إلى مجال الإصلاح الاجتماعي والفكري.

تحويل وظيفة الشعر

قبل حالي، كان الشعر الأردي غالبًا يدور حول الغزل والتشبيهات التقليدية والموضوعات الملكية أو العاطفية المجردة، لكن الطاف حسين حالي أحدث تحولًا كبيرًا حين جعل الشعر أداةً للإصلاح والتربية. فقد أكد أن الشعر ليس للزينة اللفظية فقط، بل وسيلة لبناء الإنسان والمجتمع.[22]

وهذا التحول جعل الأدب الأردي أكثر ارتباطًا بالواقع، وأكثر قدرة على التعبير عن قضايا الأمة.

تأسيس المدرسة الواقعية والإصلاحية

أسهم حالي في تأسيس اتجاه جديد في الأدب الأردي يُعرف بالمدرسة الواقعية الإصلاحية، حيث ركّز على تصوير الواقع الاجتماعي للمسلمين بعد الانحطاط السياسي، وبيان أسباب ضعفهم وسبل نهضتهم. وقد ظهر ذلك بوضوح في »مسدس مدّ وجزر الإسلام «الذي يُعدّ نموذجًا للشعر الإصلاحي الواقعي. [23]

تطوير النقد الأدبي الأردي

حين نقرأ تاريخ الأدب الأردي في مرحلته الحديثة، نجد أن اسم الطاف حسين حالي يبرز بوصفه نقطة تحول كبرى في مسار النقد الأدبي، ليس لأنه كان شاعرًا مبدعًا فحسب، بل لأنه حمل مشروعًا فكريًا متكاملًا أعاد من خلاله تشكيل الذوق الأدبي، ووضع الأسس الأولى للنقد الحديث في الأدب الأردي. وقد تجلى هذا المشروع بوضوح في كتابه الشهير »مقدمة شعر وشاعري«، الذي لم يكن مجرد كتاب نقدي، بل كان بيانًا أدبيًا إصلاحيًا غيّر مسار التفكير الأدبي في عصره. [24]

لقد كان المشهد الأدبي قبل حالي أسيرًا لذوقٍ تقليدي تغلب عليه مظاهر الصنعة اللفظية، والتقليد الأعمى للتراث الفارسي، حيث كانت قيمة الشعر تُقاس بكثرة الزخارف البديعية، لا بعمق الفكرة أو صدق التجربة. وفي خضم هذا الواقع، جاء حالي ليعلن ثورة هادئة على هذا الفهم المحدود للأدب، مؤكدًا أن الشعر ليس لعبة لغوية، بل رسالة إنسانية وإصلاحية تعكس حياة الناس وآلامهم وآمالهم.

ومن هنا انطلق في بناء رؤيته النقدية التي ربطت الأدب بالحياة ربطًا وثيقًا، فجعل معيار الجودة الأدبية هو مدى تأثير النص في المجتمع، وقدرته على تهذيب الأخلاق وبث الوعي، لا مجرد جمال الأسلوب أو غرابة الصور. [25]

ولم يقف حالي عند حدود التنظير، بل وجّه نقدًا صريحًا للتقليد الأعمى للأدب الفارسي، الذي كان قد فرض هيمنته على الذوق الأدبي في شبه القارة الهندية، فرأى أن هذا التقليد قد قيد الإبداع، وأبعد الشعراء عن واقعهم، وجعلهم يعيشون في عوالم خيالية لا تمت بصلة إلى حياة الناس. ومن هنا دعا إلى تحرير الأدب الأردي من هذه التبعية، وبناء ذوق جديد يستند إلى التجربة الواقعية والعقل الواعي.

وكانت ثورته النقدية تقوم على أساسين واضحين: العقل والواقع. فالنص الأدبي عنده لا بد أن يكون مفهومًا للعقل، قريبًا من الحياة، قادرًا على التعبير عن قضايا المجتمع بصدق ووضوح. أما الغموض المتكلف والصور البعيدة عن الواقع، فقد كان يعدّها خروجًا عن جوهر الأدب الحقيقي.

وهكذا تحوّل النقد عند حالي إلى أداة إصلاحية، لا تكتفي بتقييم النصوص، بل تسعى إلى توجيه الأدب نحو خدمة الإنسان والمجتمع. وقد فتح هذا المنهج الباب أمام مرحلة جديدة في الأدب الأردي، أصبحت فيها الدراسة النقدية أكثر وعيًا ووظيفية، وأكثر ارتباطًا بالواقع الاجتماعي والفكري.

ولذلك لم يكن كتاب »مقدمة شعر وشاعري «مجرد عمل نقدي، بل كان بداية تأسيس حقيقي للنظرية الأدبية الحديثة في الأردية، حيث جمع بين الفكر والتحليل والرؤية الإصلاحية، ليصبح علامة فارقة في تاريخ النقد الأدبي.[26]

وفي ضوء هذا كله، يتضح أن الطاف حسين حالي لم يكن مجرد ناقد، بل كان مؤسسًا لوعي أدبي جديد، نقل الأدب الأردي

تبسيط اللغة الأدبية

يُعَدُّ تبسيط اللغة الأدبية من أبرز الإسهامات الإصلاحية التي قدّمها الطاف حسين حالي في تطور الأدب الأردي الحديث، إذ أحدث تحولًا واضحًا في أسلوب التعبير الشعري والنثري، وجعل اللغة الأدبية أقرب إلى الواقع اليومي للناس، وأكثر قدرة على الوصول إلى مختلف الطبقات الاجتماعية.

لقد كان الأدب قبل حالي يميل في كثير من نماذجه إلى التعقيد اللغوي، وكثرة المحسنات البديعية، واستخدام التراكيب الصعبة المتأثرة بالأدب الفارسي، مما جعل فهم الشعر حكرًا على فئة محدودة من المثقفين. في هذا السياق، جاء حالي ليعيد التوازن إلى اللغة الأدبية، مؤكدًا أن جمال الأدب لا يكمن في الغموض أو التكلف، بل في وضوح المعنى وسهولة الوصول إلى الفكرة. [27]

وقد دعا حالي إلى استخدام لغة بسيطة طبيعية، تعبّر عن المشاعر والأفكار دون تعقيد، بحيث يفهمها القارئ العادي كما يفهمها المتخصص، لأن الهدف الأساسي عنده هو الإصلاح والتأثير، لا الاستعراض اللغوي أو التلاعب بالألفاظ. ومن هنا أصبحت نصوصه الشعرية والنثرية تتميز بالوضوح، وسلاسة الأسلوب، وقربها من لغة الحياة اليومية.

ويتجلى هذا الاتجاه في شعره الإصلاحي الذي يخاطب فيه العامة بلغة مباشرة، خالية من الغموض، كما في قصائده التي تتناول قضايا الأمة الإسلامية، حيث يبتعد عن الرمزية المعقدة، ويعتمد أسلوبًا خطابيًا بسيطًا يصل إلى القلب بسرعة، ويترك أثرًا واضحًا في النفس.

كما أن هذا التبسيط لم يكن مجرد اختيار أسلوبي، بل كان جزءًا من مشروع إصلاحي شامل تبناه حالي، هدفه توسيع دائرة القراءة والوعي الثقافي، بحيث لا يبقى الأدب محصورًا في طبقة النخبة، بل يصبح ملكًا للجميع. وقد ساعد هذا الاتجاه في انتشار الأدب الأردي بين مختلف الفئات، وزيادة الإقبال عليه، لأنه أصبح أكثر قربًا من فهم الناس واهتماماتهم.

وقد أكد حالي في كتابه »مقدمة شعر وشاعري «أن اللغة إذا كانت معقدة ومنغلقة فإنها تفقد وظيفتها الأساسية، بينما اللغة الواضحة البسيطة هي التي تستطيع أن تحقق الهدف الحقيقي للأدب، وهو التأثير والإصلاح.[28]

وبذلك يمكن القول إن تبسيط اللغة الأدبية عند الطاف حسين حالي لم يكن مجرد تطور أسلوبي، بل كان ثورة فكرية في مفهوم الأدب، نقلت اللغة الأردية من دائرة التعقيد إلى فضاء الوضوح، ومن نخبوية الفهم إلى عمومية التأثير.

الخاتمة

يتضح مما سبق أن أثر الطاف حسين حالي في الأدب الأردي كان أثرًا شاملًا وعميقًا، فقد غيّر وظيفة الشعر، وأسّس للنقد الأدبي الحديث، وأدخل الواقعية والإصلاح في الأدب، وأثر في أجيال من الشعراء والمفكرين. ولذلك يُعد حالي من الرواد الحقيقيين الذين نقلوا الأدب الأردي من التقليد إلى الحداثة الفكرية والإصلاحية.

CC BY

يتناول هذا المقال دراسة شاملة لشعر الطاف حسين حالي وإسهاماته الفكرية والأدبية، بوصفه أحد أبرز رواد الشعر الإصلاحي في الأدب الأردي الحديث. فقد استطاع حالي أن يُحدث تحولًا جذريًا في وظيفة الشعر، حيث نقله من دائرة الزخرفة والتكلف إلى مجال الإصلاح الاجتماعي والتربية الأخلاقية والوعي الحضاري.

وقد أوضح المقال أن شعر حالي يتميز بعدة خصائص فنية بارزة، أهمها البساطة والوضوح، والصدق العاطفي، والواقعية، والنزعة الإسلامية، وهي سمات جعلت شعره قريبًا من عامة الناس، وقادرًا على التأثير في مختلف طبقات المجتمع. كما أن لغته الشعرية جاءت سهلة ومباشرة، خالية من التعقيد والتصنع، مما ساعد على انتشار أدبه وتوسّع دائرة قرّائه.

كما أبرز المقال إسهامه الكبير في مجال النقد الأدبي من خلال كتابه الشهير «مقدمة شعر وشاعري»، الذي يُعد من أوائل المحاولات لتأسيس نظرية نقدية حديثة في الأدب الأردي. فقد وضع فيه أسس فهم الشعر ووظيفته، وربط بين الأدب والحياة، ودعا إلى الابتعاد عن التقليد الأعمى للأدب الفارسي، وإلى بناء ذوق أدبي جديد قائم على العقل والواقع.وقد أكد المقال أيضًا أن حالي قدّم رؤية إصلاحية عميقة في شعره، خاصة في قصيدته «مسدس مدّ وجزر الإسلام»، حيث صوّر حال المسلمين بين الماضي المجيد والواقع المتأزم، داعيًا إلى النهضة والعودة إلى القيم الإسلامية الأصيلة القائمة على العلم والعمل والأخلاق.وفي ضوء ذلك، خلص المقال إلى أن الطاف حسين حالي لم يكن مجرد شاعر تقليدي، بل كان مصلحًا اجتماعيًا ومفكرًا نقديًا، أسهم في تطوير الأدب الأردي من حيث الشكل والمضمون، ووضعه على طريق الحداثة الفكرية والإصلاحية، مما جعله من الشخصيات المؤسسة في تاريخ الأدب الأردي الحديث.

المراجع والحواشي

---

[1] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعر وشاعري*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 45

[2] حالي، الطاف حسين، *مسدس مدّ وجزر الإسلام*، كراچي: مكتبة دانيال، ص 18

[3] سيد عبد الله، *الأدب الأردي وتطوره*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 203

[4] حالي، الطاف حسين، *كليات حالي*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 77

[5] عبد السلام ندوي، *تاريخ الأدب الأردي*، ج 2، ص 139

[6] حالي، *مقدمة شعر وشاعري*، ص 51

[7] سيد عبد الله، *الأدب الأردي وتطوره*، ص 205

[8] عبد السلام ندوي، *تاريخ الأدب الأردي*، ج 2، ص 140

[9] حالي، الطاف حسين، *مسدس مدّ وجزر الإسلام*، كراچي: مكتبة دانيال، ص 18

[10] حالي، الطاف حسين، *كليات حالي*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 77

[11] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعر وشاعري*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 52

[12] حالي، الطاف حسين، *مسدس مدّ وجزر الإسلام*، كراچي: مكتبة دانيال، ص 35

[13] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعروشاعري*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 60

[14] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعروشاعري*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 58

[15] حالي، الطاف حسين، *مسدس مدّ وجزر الإسلام*، كراچي: مكتبة دانيال، ص 18

16 - ڈاکٹر جمیل جالبی، تاریخِ ادبِ اردو، جلد چہارم، مجلسِ ترقیِ ادب، لاہور، 1987ء، ص 115۔

17 - آلِ احمد سرور، اردو ادب کی مختصر تاریخ، قومی کونسل برائے فروغِ اردو زبان، نئی دہلی، 2005ء، ص 173۔

18 - ڈاکٹر عبادت بریلوی، اردو تنقید کا ارتقاء، انجمن ترقی اردو، کراچی، 1992ء، ص 96۔

19 - ڈاکٹر جمیل جالبی، تاریخِ ادبِ اردو، جلد چہارم، مجلسِ ترقیِ ادب، لاہور، 1987ء، ص 119۔

20 - محمد حسن، اردو ادب کی تنقیدی تاریخ، مکتبۂ جامعہ، نئی دہلی، 2003ء، ص 142۔

21 - ڈاکٹر عبادت بریلوی، اردو تنقید کا ارتقاء، انجمن ترقی اردو، کراچی، 1992ء، ص 101۔

[22] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعروشاعري*، لاهور: مجلس ترقي ادب، ص 40

[23] حالي، الطاف حسين، *مسدس مدّ وجزر الإسلام*، كراچي: مكتبة دانيال، ص 22

[24] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعروشاعري*، ص 55

[25] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعروشاعري*، ص 57

[26] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعروشاعري*، ص 62

[27] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعروشاعري*، ص 48

[28] حالي، الطاف حسين، *مقدمة شعروشاعري*، ص 50